Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

طالب في انكلترا: حب اثنتين أو أكثر في الوقت نفسه". هكذا نراه في رحلته الباريسية التالية يتنقل بين نادين المسافرة معه على ظهر السفينة، ورسائله إلى لميعة والطالبة، والسيدة البغدادية القادمة إلى باريس لتعدّ الدكتوراه والتي نقرأ عنها: "عصاري من العشق الذي يطوح بي وبها، في مهاوٍ من جنون الجسد لا أعرف لنفسي طريقاً للنجاة منها (...) تذكرني بإلحاح بحضورها الجسدي المثير، وتريدني أن أنسى كُل امرأة غيرها". والطريف أن جبرا يستذكر في هذا الخضمّ سالي من القدس، والتي ربطته بها صداقة فكرية"، دون أن تشوبها شائبة"، فهل يلتبس الحب أو الجنس في قرارة الكاتب بالشوائب، وهو يستذكر في شيخوخته ماعاشه في ريعان شبابه؟

على أية حال لا يقوم خضمّ المرأة بغير خضمّ الثقافة في سيرة الكاتب. وفي خضمّ الثقافة يتنكب جبرا سبيل التعبير المجازي. وتتوالى العلامات المؤسسة منذ بداية (شارع الأميرات) والرحلة إلى بور سعيد في الطريق إلى الدراسة في انكلترا على وقع الحرب.

فالتوق إلى رؤية تمثال دوليسبس في قناة السويس قاده إلى توقيف الشرطة، مما عنى للكاتب تجربة جديدة للكتابة، وهو الذي قد بات همه الأكبر قبل سنتين أو أكثر"، أن أكتب عن تجربة للحياة وخبرة للبشر، والطريق هي التجربة".

وفي الفصل الرابع (حكايتي مع أغاثا كريستي) عام 1948 علامة أخرى على هذه الطريق، تومض فيها بغداد سنة النكبة، ومكتبة مكنزي، وصداقة ديزموند ستيوارت صاحب رواية (فهد بين الأعشاب) وكتاب (الفلسطينيون ضحايا الانتهازية السياسية) الذي صدر عام 1981 بعد وفاة المؤلف، ويومض ها هنا أيضاً اللقاء بالأركيولوجي هاملتون واكتشاف المقبرة الملكية في أور، وبقايا الملكة العجيبة شبعاد ووصيفاتها، ثم يأتي اللقاء بماكس مالوان الذي يعيد اكتشاف نمرود عاصمة الآشوريين–وزوجته المسز مالوان، أي أغاثا التي حافظت على نسبتها إلى زوجها الأول كريستي.

من هذا الفصل تمضي سيرة جبرا إلى (شارع الأميرات) الذي حملت اسمه في هذا الكتاب، وحيث ينقلنا الكاتب من المشي والمشائين في أكاديمية أفلاطون وأرسطو إلى داره الجديدة في شارع الأميرات مطلع الستينات. وتتألق الكتابة بوصف المكان وهي ترمي بذكريات الإضراب في فلسطين عام 1936، والتوله بصبية من الجيران، وبتسمية الشارع نسبة إلى دار الأميرتين بديعة وجليلة بنتي الملك علي، وبغمر النخيل والتمر، وبمن استشهد أو جن أو انتحر من أشلاء